الجامعة المستنصرية المرحلة الأولى / الدراسة الصباحية

كلية الآداب المادة : علوم القرآن

قسم اللغة العربية الدكتور: إسماعيل عباس حسين

المحاضرة الرابعة (الوحي: معناه وحقيقته )

في محاضرة سابقة عرّفنا القرآن بأنه كلام الله المعجز المنزّل وحياً على النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم ) فالمتكلم هو الله، والناقل هو الوحي، والمتلقي هو رسول رب العالمين، وأنّ جبريل عليه السلام هو الوحي الذي نزل بألفاظ القرآن المعجزة من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس. والوحي في اللغة من أَوحَى ، و وَحَى ، وهو الإعلام في سرعة وخفاء. ويأتي بمعان عدة منها:

1- الإشارة كقوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم 11) أي أشار إليهم ولم يتكلم.

2- الإلهام الفطري: كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ...﴾(القصص 7) أي ألقينا في خاطرها وألهمناها.

3- الوسوسة: كما في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ (الأنعام 121).

4- الإلهام الغريزي: كما في قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل 68) .

5- الأمر كما في( سورة الأنفال 12):﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾.

وأمّا تعريف الوحي اصطلاحا : فهو إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده بحكم شرعي ونحوه. أو هو عرفان يجده الشخص الموحى إليه في نفسه مع اليقين أنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة .

وللوحي أنواع : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (الشورى 51.( فهذه الآية الكريمة بينت أنواع الوحي الذي يكلم الله به أنبياءه عليهم الصلاة والسلام.

النوع الأول: هو ما يلقيه الله ويقذفه في قلب النبي أو الرسول، فيوقن النبي أو الرسول أن هذا من الله تبارك وتعالى ومنه ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن روح القدس نفث في روحي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب."

النوع الثاني: أن يسمع النبي أو الرسول كلام الله من غير أن يدرك أو يرى مصدر هذا الصوت وذلك مثل تكليم الله موسى عليه السلام وهو المشار إليه بقوله ﴿أو من وراء حجاب﴾.

النوع الثالث: هو ما يكون بوساطة الملك جبريل عليه السلام وهو المشار إليه بالآية ﴿ أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء﴾. وهو أكثر أنواع الوحي وقوعا وبه نزل القرآن على النبي ،قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ .

ومن أنواع الوحي الرؤيا الصادقة في النوم للأنبياء والمرسلين قال الله تعالى في قصة إبراهيم ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾.(الصافات 102)

ولقد أثار أعداء هذا الدين شبهات يشككون فيها في أن القرآن الكريم وحي من عند الله أوحاه الله إليه بوساطة الروح الأمين ومن هذه الشبهات :

1- أن محمدا قد تعلم القرآن الكريم من غيره، ولكن ممن تعلم هذا الكتاب ثمة احتمالات:

أ- أن يكون مصدر القرآن مجتمعه الذي عاش فيه.

ب- أن يكون اكتسبه من اليهود والنصارى و أفاده من التوراة والإنجيل.

ج- أن يكون تعلمه أثناء رحلاته التي كان يقوم بها للتجارة.

وفي الرد على هذه الاحتمالات نقول: إن الزعم أن ما جاء به النبي منتزعا من المجتمع الذي كان يعيش فيه مردود لأن القرآن الكريم في كثير من آياته ينص على هذا المجتمع وأهله ما هم فيه من الباطل والفساد ويذكر مثالبه كالشرك، وعبادة الأوثان ووأد البنات، وقتل النفس وأن المعاصرين للعرب كاليهود والفرس والروم كانوا يصفون العرب بالأميين. ولم يكن ذلك المجتمع يحفل بالقضايا الدينية والمسائل العقدية بل كان مجتمعا أميا قبليا فهل يعقل أن يكون مصدر القرآن ذلك المجتمع بأوصافه المذكورة.

وأما الزعم بأنه مأخوذ من اليهود والنصارى فمردود أيضا لأنه لم يثبت أن الرسول كان يتردد على اليهود وكانت كل تحركاته ورحلاته بين الشام واليمن مع قومه وقد قضى فترة ما قبل الوحي يرعى الغنم، وكان قبل الوحي يقضي معظم أوقاته في غار حراء يتعبد ، والتوراة والإنجيل لم يترجما إلى العربية إلا بعد قرون من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم. وما جاء في القرآن الكريم يخالف كثيرا مما جاء في هذين الكتابين في مسائل الخلق والعقيدة والقصص والأخبار.

وأما الاحتمال أن يكون الرسول قد اكتسب القرآن من رحلاته إلى الشام واليمن فمردود لأنه لم يثبت أثناء تلك الرحلات قد اختلى بالأحبار والرهبان وعلماء اليهود والنصارى بل كان تحت أنظار قومه، وكان الذين يلاقيهم بين عابد وثني أو نصراني معرفتهم بالدين محدودة وساذجة.

2- الزعم بأن يكون القرآن من عنده ، وهذا الادعاء باطل ودليل بطلانه إقرار الرسول نفسه أن هذا القرآن ليس من عنده ، بل هو من عند الله ، وأي عاقل يتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات ، وينسب ما يأتي به لغيره؟؟ ولو قال أحد أنه نسب القرآن إلى الوحي الإلهي لأن في ذلك ما يعينه على دعوة الناس ليستجيبوا له ويطيعوه، نقول حينئذ إن هذا دليل فاسد، وذلك لأن النبي قد صدر عنه كلام نسبه إلى نفسه، وجاء بكلام نسبه إلى ربه وكلاهما استوجب على الناس طاعته فيهما على السواء، وكانت طاعته من طاعة الله ومعصيته من معصية الله، ثم إن هذا القول مبني على افتراض باطل وهو أن يكون النبي يريد الوصول إلى غايته عن طريق التمويه والكذب، ذلك أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم- تشهد أنه كان أبعد الناس عن الكذب .